CC BY

College of Basic Education Research Journal

www.berj.mosuljournals.com

Proportionality of Rites and surats in the holy Quran ((Surat of Alqasas as a sample))

Saad Farman Mahmoud

Article Information

Article history:

Received: October 6.2024

Reviewer: November 17.2024

Accepted: November 17.2024

Key words :

Correspondence:

Abstract

Current research deals with proportionality between surats and rites of holy Quran where researcher chosen Al- Alkasas surats as subject of this research , First researcher talked about definition of occasion in addition to general information on surats Alkasas then research dealt with several subjects some of which were showing occasion of beginning of Alkasas surat with its conclusion mention examples of proportionality between rites of Alkasas surat with each other and that between alkasas surat and other surats of holy Quran Research ended by mentioning the most important results reached , made some recommends and references utilized in writing this research .

ISSN: 1992 – 7452

تناسب الآيات والسور في القرآن الكريم
((سورة القصص أنموذجاً))

سعد فرمان محمود

الخلاصة

تناول البحث التناسب بين سور وآيات القرآن الكريم، وقد اخترت سورة القصص كنموذج على ذلك، وفي بداية هذا البحث تم التطرق إلى تعريف المناسبة ، وكذلك إعطاء معلومات عامة عن سورة القصص، ثم تناول البحث أمور عدة منها: إبراز مناسبة فاتحة سورة القصص مع خاتمتها، وذكر نماذج من التناسب بين آيات سورة القصص مع بعضها البعض ، وكذلك التناسب بين سورة القصص مع ما قبلها وما بعدها من سور القرآن الكريم ، ثم ختم البحث بذكر أهم النتائج التي تم التوصل إليها، ثم ذكر المصادر التي تم اعتمادها في كتابة البحث .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين :

على الرغم من أن القرآن الكريم نزل على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) منجَّماً على مدى ثلاث وعشرين سنة ، إلا أن الناظر في هذا القرآن يجد فيه إعجازاً يبهر العقول في تناسبه وترابطه وترتيبه ترتيباً فريداً غاية في الحسن والجمال ، والجلال والكمال، وسلاسة اسلوبه ، ودقة تصويره , وروعة تعبيره ، وعذوبة بيانه لا تجد فيه خللاً بين كلماته ، ولا تنافراً بين حروفه ، ولا تناقضاً في معانيه ولا في مقاصده لذا كان القرآن الكريم المعجزة الخالدة والرسالة الباقية للبشر[i].

فقد نهج القرآن الكريم منهجاً فريداً في عرضه للقضايا بشكل يبهر العقول خالف به سائر المناهج السابقة التي اصطلحت في مناهجها أن تبنى على مقدمات ومباحث متسلسلة أو أبواب وفصول إلى غير ذلك من تقسيمات في إطار مقاصد محدودة ونتائج مرسومة ، فتراه يذكر طرفاً من الشيء ثم يتركه ثم يعود إلى إتمامه بطريقة لا تسأم النفوس هديه ، ولا تستثقل حديثه ، مراعياً في تسلسل نصوصه أن يقارب بين أفرادها ، فتجد الآية متسقة في كلماتها ، متآزرة مع أخواتها من الآي، وتلتقي السورة بالتي بعدها والتي قبلها برابط لا يجعل منها جنساً غريباً عنها ، بل تبدو فيه كعقد نظمت حباته ، ورتبت أبدع ترتيب ، فكان بذلك معجزاً بنظمه ، بديعاً في اتساقه ، متناسباً في آياته وسوره وأجزائه[ii] ، "فإن القرآن الكريم كان وما يزال وسيبقى منبعاً غزيراً لفنون وعلوم كثيرة، ومصدراً للطائف وأسرار كبيرة ، ومن أجلّ علومهِ ولطائفهِ وأسرارهِ في نظمه وأسلوبه علم المناسبة بين الآيات والسور وهو علم مع جلالة قدره قل فيه التصنيف ، لدقته وبُعدِ غَوره"[iii] "فإن القرآن الكريم بلغ من ترابط أجزائه، وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره مبلغاً فريداً، لا يدانيه فيه أي كلام آخر ، فألفاظ القرآن وآياته وسوره متعانقة متماسكة ، آخذ بعضها بأعناق بعض، فتراها سلسة رقيقة عذبة متجانسة، وكلماته متآخية متجاوبة جرساً وإيقاعاً ونغماً ، وهذا كله مما جعله كتاباً سوياً، يأخذ بالأبصار، ويستحوذ على العقول والأفكار قال تعالى: (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)[iv]، يعرف هذا الإحكام والترابط في القرآن كل من تمعن في التناسب الواضح فيه، فلا تفكك ولا تخاذل ولا انحلال ولا تنافر، بينما الموضوعات مختلفة متنوعة، فمن تشريع إلى عقائد إلى قصص إلى جدل إلى وصف ... إلخ ، وهذا التناسب هو سر من الأسرار الدقيقة التي تتجلى بها عظمة القرآن الكريم وإعجازه" [v] .

تعود أهمية هذا البحث إلى :

- أهمية العلم الذي يدرسه وهو علم المناسبات، فهذا العلم له أهمية كبيرة في إبراز اللطائف القرآنية والإعجاز في الآيات الكريمة، حيث أن ذكر المناسبة يبرز الوحدة المعنوية بين آيات وسور القرآن الكريم، ويرسخ الاعتقاد بإعجاز القرآن ، لما يبديه هذا العلم من لطائف القرآن وأسراره ، وقد أشار الرازي إلى ذلك في قوله:

"أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[vi] ، ومما يؤكد ذلك قول الزركشي في البرهان لعلوم القرآن: "المناسبة علم شريف تحزر به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول"، ثم قال : "وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء" [vii] .

- وكذلك تساعد معرفة المناسبة بين الآيات القرآنية على فهم المراد من الآية ، فكما أن معرفة سبب النزول لها أثرها في فهم المعنى وتفسير الآية، فإن معرفة المناسبة بين الآيات تساعد كذلك على حسن التأويل ودقة الفهم وتحديد اللفظ في القراءة ، وقد نقل البقاعي بعض الآثار الدالة على ذلك فمن ذلك ما رواه عبد الرزاق بإسناده عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال: (إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا، فليسله عما قبلها) ، في إشارة منه إلى أن ما قبلها يدله على تحديد لفظها، بما تدعو إليه المناسبة [viii].

ويهدف البحث بالدرجة الأولى إلى :

- إبراز التناسب والترابط بين آيات سورة القصص مع بعضها البعض ، وكذلك مع غيرها من سور وآيات القرآن الكريم .
- إبراز بلاغة القرآن الكريم والتي بدت واضحة جلية في سورة القصص فإن سورة القصص فيها بيان لبلاغة القرآن في أعلى مراتبها ، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة ، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتميز عن الآخر ، وتصاغ في قالب غير القالب الآخر ، ولا يمل الإنسان من تكرارها ، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى .
- تعريف طالب العلم بسورة القصص من حيث تسميتها وسبب نزولها ومحور السورة والتسلسل الموضوعي وغير ذلك من الأمور التي احتواها البحث والتي لها علاقة بسورة القصص .

وقد قسّم البحث على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول كان تعريف للبحث وفيه ثلاثة مطالب ، المطلب الأول تناول التعريف بعلم المناسبة لغةً واصطلاحاً، أما المطلب الثاني فقد تضمن التعريف بسورة القصص (بين يدي السورة) ، أما المطلب الثالث فقد تناول محور السورة وتسلسل الأحداث فيها .

أما المبحث الثاني فقد إحتوى على مطلبين ، تناول المطلب الأول التناسب بين فاتحة سورة القصص مع خاتمتها ، والمطلب الثاني تناول المناسبة بين آيات سورة القصص.

أما المبحث الثالث فقد إحتوى على مطلبين ، المطلب الأول تناول التناسب والترابط بين سورة القصص مع (ما قبلها) من سور وآيات القرآن الكريم ، أما المطلب الثاني فقد تناول التناسب والترابط بين سورة القصص مع (ما بعدها) من سور وآيات القرآن الكريم .

ثم ختم البحث بذكر أهم النتائج التي تم التوصل لها ، ثم ذكر المصادر التي تم الاعتماد عليها.

أسأل الله العظيم أن ينتفع طلبة العلم بهذا العمل ، وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المبحث الاول وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف المناسبة ((لغةً واصطلاحاً))

المناسبة في اللغة تعني: الاتصال، والمقاربة، والمماثلة تقول : ليس بينهما مناسبة ، أي: مشاكلة ، والمشاكلة بمعنى: المماثلة ، كما تقول : هذا شكل هذا ، أي : مثله[ix].

والمناسبة المقاربة وفلان يناسب فلاناً أي يقرب منه ويشاكله ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابةِ"[x] والمناسبة "مأخوذة من النسبة والنسب، بمعنى القرابة والنسيب المناسب، فهذه المعاني كلها تتضمن معنى المقاربة والمشاكلة" [xi] .

أما في الاصطلاح: " علم المناسبة علمٌ يبحث في المعاني الرابطة بين الآيات بعضها ببعض ، وبين السور بعضها ببعض ، حتى تُعرف علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم" [xii].

وقد عرف البقاعي المناسبة بقوله: " علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال، لما اقتضاه الحال ، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها ، ونسبته من علم التفسير، نسبة علم المعاني والبيان من النحو، فهو غاية العلوم" [xiii].

وتعرف المناسبة ايضاً بأنها: "علم حسن ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر" [xiv]. كما عرفها مصطفى مسلم بقوله: "هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه ، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها" [xv] .

المطلب الثاني

((بين يدي سورة القصص))

أولاً التسمية :

"سميت سورة القصص بهذا الاسم لأن الله تعالى ذكر فيها قصة موسى مفصلة موضحة من حين ولادته إلى حين رسالته ، وفيها من غرائب الأحداث العجيبة ما يتجلى فيها بوضوح ، عناية الله بأوليائه ، وخذلانه لأعدائه" [xvi] .

ثانياً ترتيب سورة القصص في المصحف وعدد آياتها وكلماتها و حروفها :

"إن ترتيب سورة القصص بين سور القرآن هو أنها السورة الثامنة والعشرون ، وعدد آياتها ثمانٍ وثمانون آية ، ولا يماثلها في عدد آياتها إلا سورة (ص) ، نزلت بعد سورة " النمل " بدأت السورة بحروف مقطعة " طسم " الجزء "٢٠" ،الحزب "٣٩ ،٤٠" ، الربع "٢،٣،٤،٥،٦" وعدد حروفها خمسة آلاف وثمانمائة حرف[xvii]، وعدد كلماتها ألف وأربعمائة و كلمة واحد" [xviii].

ثالثاً سورة القصص مكية أم مدنية ؟

"سورة القصص مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وقال ابن عباس وقتادة إلا آية نزلت بين مكة والمدينة (بالجحفة) في وقت هجرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة وهي قوله عز وجل (إِنَّ الذي فَرَضَ عَلَيْكَ القرآن لَرَآدُّكَ إلى مَعَادٍ) [xix]، وقال مقاتل: فيها من المدني: (الذين آتَيْنَاهُمُ الكتاب.. إلى قوله: لاَ نَبْتَغِي الجاهلين)" [xx]][xxi] .

رابعاً الهدف الأساسي من نزول سورة القصص :

"نزلت هذه السورة لتضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم ، ولتبين أن هناك قوة واحدة مؤثرة في الكون ألا وهي قوة الله وحده، وأن هناك قيمة واحدة في الكون هي قيمة الإيمان ، وجاءت السورة لتقرر حقيقة مهمة ثابتة على مرِّ العصور أن النصر لا يأتي بالضرورة مع الكثرة والقوة وأن النصر يأتي بأمر الله وحده فهو الناصر الذي ينصر" [xxii] .

المطلب الثالث

((محور سورة القصص وتسلسل الأحداث فيها))

"هذه السورة نزلت والمسلمون في مكة قلة مستضعفة، والمشركون هم أصحاب الحول والطول والجاه والسلطان، ومن ثم يقوم كيان السورة على قصة موسى وفرعون في البدء ، وقصة قارون مع قومه قوم موسى في الختام ، الأولى تعرض قوة الحكم والسلطان ، قوة فرعون الطاغية المتجبر اليقظ الحذر؛ وفي مواجهتها موسى طفلاً رضيعاً لا حول له ولا قوة ، ولا ملجأ له ولا وقاية" [xxiii] ، وبذلك نجد إن محور سورة القصص يدور حول فكرة (الحق) و(الباطل) ومنطق الإذعان والطغيان، وتصور قصة الصراع بين جند الرحمن وجند الشيطان، وقد ساقت في سبيل ذلك قصتين : أولاهما قصة الطغيان بالحكم والسلطان ، ممثلة في قصة فرعون الطاغية المتجبر ، الذي أذاق بني إسرائيل سوء العذاب ، فذبح الأبناء ، واستحيا النساء ، وتكبر على الله حتى تجرأ على ادعاء الربوبية فقال (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إله غَيْرِي)[xxiv] والثانية : قصة الاستعلاء والطغيان بالثروة والمال ممثلة في (قارون) مع قومه ، وكلا القصتين رمز لطغيان الإنسان في هذه الحياة ، سواء بالمال ، أو الجاه ، أو السلطان، ابتدأت السورة بالحديث عن طغيان فرعون ، وعلوه

وفساده في الأرض ، ومنطق الطغيان في كل زمان ومكان ، (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا)[xxv]، ثم انتقلت السورة للحديث عن ولادة موسى(عليه السلام) وخوف أمه عليه من بطش فرعون ، وإلهام الله تعالى لها بإلقائه في البحر ، ليعيش معززا مكرما في حجر فرعون كريحانة زكية تنبت وسط الأشواك، ثم تحدثت عن بلوغ موسى (عليه السلام) سن الرشد ، وعن قتله للقبطي ، وعن هجرته إلى أرض مدين ، وتزوجه بابنة شعيب ، وتكليف الله له بالعودة إلى مصر لدعوة فرعون الطاغية إلى الله وما كان من أمر موسى(عليه السلام) مع فرعون بالتفصيل إلى أن أغرقه الله في البحر ، وتحدثت عن كفار مكة ، ووقوفهم في وجه الرسالة المحمدية ، وبينت أن مسلك أهل الضلال واحد ثم انتقلت إلى الحديث عن قصة قارون ، وبينت الفارق العظيم بين منطق الإيمان ، ومنطق الطغيان (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ)[xxvi] وختمت السورة الكريمة بالإرشاد إلى طريق السعادة ، وهو طريق الإيمان الذي دعا إليه الرسل الكرام [xxvii] .

المبحث الثاني ((التناسب في سورة القصص))

وفيه مطلبان

المطلب الأول : تناسب فاتحة سورة القصص مع خاتمتها :

الناظر في القرآن الكريم يجد أن هناك ترابط ما بين فاتحة سورة القصص مع خاتمتها، وهذا ما تضمنته سورة القصص فقد بدأت بقصة موسى(عليه السلام) وبيان مبدأ أمره ونصره والإخبار عنه بأنه لن يكون ظهيراً للمجرمين، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾[xxviii] وهذا ما نجده واضحاً جلياً في خاتمة السورة التي بين الله تعالى فيها نصره لنبيه الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) وأمره له بأن لا يكون ظهيراً للكافرين قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ، وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ ﴾"[xxix]][xxx].

"وفي خاتمة السورة أمر الله تعالى نبيه الكريم بعدة أمور منها قوله تعالى ﴿ وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [xxxi]، وكذلك قوله تعالى:﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَبُ إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾[xxxii] ، ولا شك أن هذه الأوامر والنواهي وإن كان خطابها متوجهاً إليه (صلى الله عليه وسلم) فالمقصود بها أتباعه، ولعلها إنما وجهت إليه (عليه الصلاة والسلام) لأن أمر الرئيس أدعى لأتباعه إلى القبول، وقد اتضح بهذا البيان، أن هذا الكتاب مبين، وبإنفاذ إرادته سبحانه وتعالى في تقوية أهل الضعف من بني إسرائيل دون ما أراد فرعون وقارون وأتباعهما من أهل العلو بطاعة الماء والتراب وما جمع العناصر من اليد والعصا أن له وحده الحكم على ما يريد ويختار

، فصح أن إليه الرجوع يوم المعاد يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً، فقد انطبق آخر السورة على أولها، وانشرح مجملها بمفصلها" [xxxiii] .

المطلب الثاني

((نماذج على تناسب آيات سورة القصص فيما بينها)) :

لقد امتازت سورة القصص بالترابط والتناسق بين آياتها بل وتناسبت في مقاطعها فمن ذلك نجد أن هناك مجموعة من دلالات التوحيد في سورة القصص التي أظهرت أن الله سبحانَه وتعالى هو الذي بيده كلّ شيء وهو المتفرد بالوحدانية وأنه هو المؤثر في هذا الكون فهو الأول والأخر والظاهر والباطن وهو بكل شيءٍ عليم وتأكيد توبيخ المشركين على مزاعمهم فمن ذلك :

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [xxxiv] .

المناسبة : وجه المناسبة بين هذه الآيات والآية التي قبلها هو أنه لما بين من قبل استحقاقه للحمد على وجه الإجمال بقوله : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [xxxv] ، فصل عقيب ذلك ببعض ما يجب أن يحمد عليه ما لا يقدر عليه سواه، فقال لرسوله : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة...﴾ [xxxvi] .

كما ان هناك ترابط وتناسب في هذه الآيات يظهر فيها الإعجاز الباهر للقرآن الكريم في إنتقاء الكلمات ليضع كل كلمة في الموضع الذي يناسبه كما في قوله تعالى:﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ إلى قوله تعالى:﴿ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾، فإنه سبحانه وتعالى لما أسند جعل الليل سرمداً إلى يوم القيامة لنفسه وهو القادر الذي جعل الشيء لا يقدر غيره على مضادته قال: ﴿أَفَلاَ تَسْمَعُونَ﴾ لمناسبة السماع للطرف المظلم من جهة صلاحية الليل للسماع دون الإبصار لعدم نفوذ البصر في الظلم، ولما أسند جعل النهار سرمداً إلى يوم القيامة لنفسه كأن لم يخلق فيه ليل البتة، قال في فاصلة هذه الآية:﴿ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ لمناسبة ما بين النهار والإبصار[xxxvii] فناسبت هذه الآيات الآية التي بعدها في اسلوب بلاغي عجيب يسمى (اللف والنشر) وذلك في قول الله عز وجل:﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: وبسبب رحمته إياكم جعل لكم الليل والنهار ، ثُمَّ علل جعل كل واحد منها فبدأ بعلة الأول وهو (الليل)، وهو (لتسكنوا فيه)، ثم بعلة الثاني وهو (ولتبتغوا من فضله) ثم بما يشبه العلة لجعل هذين الشيئين وهو (لعلكم تشكرون) أي : هذه الرحمة والنعمة" [xxxviii] .

ومن الأمثلة على المناسبة ما بين آيات سورة القصص أيضاً، هي الآيات التي تحدثت عن تجبر قارون واستكباره على العباد والتي كانت سبباً في هلاكه هو وماله قال تعالى :﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ* قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلاَ يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ الْمُجْرِمُونَ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَ الصَّابِرُونَ* فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ المُنْتَصِرِينَ* وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[xxxix] .

المناسبة :"لما كان ترك الفرح في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ سبباً للزهد ، وهو سبب للقرب إلى الله ، كأنه قيل : وازهد فيه إن الله يحب الزاهدين، فقال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ﴾ومن الواضح أن كفره سول له البقاء على ذلك والعياذ بالله تعالى، فخسف الله به وبداره الأرض جزاءً وفاقاً لكفره وتكبره على ما أخبرنا عز وجل في سورة القصص"[xl] "أكدت هذه الآيات صدق مقولة أهل العلم لقارون: ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَ الصَّابِرُونَ﴾ ، فبادرت بعدها مباشرة إلى الحديث عن إهلاك الله تعالى لقارون وأمواله وزينته فأنزل الله عليه العذاب وهو في موكبه أمام الناس وصُدِّر الكلام بحرف الفاء التي أفادت العطف على جملة: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ وأفادت أيضاً التعقيب: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأرض﴾[xli] .

ومن هذه الامثلة وغيرها، يتبين لنا أن التناسب بين الآيات هو أحد معجزات القرآن الكريم كيف لا وهو كلام الرحمن لتبين لنا هذه الآيات حقيقة مهمة ثابتة على مرّ العصور أن النصر لا يأتي بالضرورة مع الكثرة والقوة وأن النصر يأتي بأمر الله وحده فهو الناصر الذي ينصر عباده .

المبحث الثالث وفيه مطلبان :

المطلب الأول: تناسب وترابط آيات سورة القصص مع ما قبلها من سور القرآن الكريم :

مناسبة فاتحة سورة القصص مع خاتمة سورة النمل :

قال تعالى في خواتيم سورة النمل: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِه فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[xlii]،إن مما فسر به آياته الواردة في قوله تعالى (سَيُرِيكُمْ آيَاتِه) أي معجزات الرسول(صلى الله عليه وسلم) وأنه أضافها تعالى إليه إذ كان هو المخبر بها، ثم ليبدأ السورة بذكر أعظم معجزات

المصطفى(صلى الله عليه وسلم) فقال:﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِين ﴾[xliii] فهذا الكتاب هو أعظم المعجزات وأكبر الآيات البينات "[xliv].

قال الألوسي ووجه مناسبة سورة القصص لما قبلها اشتمالها على شرح بعض ما أجمل فيه من أمر موسى(عليه السلام) ثم ذكر الالوسي قول السيوطي في أنه سبحانه لما حكى في الشعراء قول فرعون لموسى(عليه السلام): ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ }[xlv]، ثم قال سبحانه في سورة النمل قول موسى عليه السلام: ﴿لأهله إِنِّي آنَسْتُ نَاراً﴾[xlvi] ، إلى آخره الذي هو في الوقوع بعد الفرار وكان الأمر على سبيل الإشارة والإجمال فبسط جل وعلا في سورة القصص ما أوجزه سبحانه في السورتين وفصل تعالى شأنه ما أجمله فيهما على حسب ترتيبهما فبدأ عز وجل بشرح تربية فرعون له مصدراً بسبب ذلك من علو فرعون، وذبح أبناء بني إسرائيل الموجب لإلقاء موسى (عليه السلام) عند ولادته في اليم خوفاً عليه من الذبح وبسط القصة في تربيته وما وقع فيها إلى كبره إلى السبب الذي من أجله قتل القبطي، وإن قتل القبطي هي الفعلة التي فعل الموجب لفراره إلى مدين، إلى ما وقع له مع شعيب (عليه السلام) وتزويجه بابنته إلى أن سار بأهله وآنس من جانب الطور ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً إلى ما وقع له فيها من المناجاة لربه جل جلاله وبعثه تعالى إياه رسولاً وما استتبع كذلك إلى آخر القصة، فكانت هذه السورة شارحة لما أجمل في السورتين معاً على الترتيب وبذلك عرف وجه الحكمة في تقديم طس على هذه وتأخيرها عن الشعراء في المصحف، وكذا في النزول فقد روي عن ابن عباس وجابر بن زيد أن الشعراء نزلت ثم طس ثم القصص، وأيضاً قد ذكر سبحانه في السورة السابقة من توبيخ الكفرة بالسؤال يوم القيامة ما ذكر، وذكر جل شأنه في هذه من ذلك ما أبسط وأكثر مما تقدم وأيضاً ذكر عز وجل من أمر الليل والنهار هنا فوق ما ذكره سبحانه منه هناك، وقد يقال في وجه المناسبة أيضاً إنه تعالى فصل في تلك السورة أحوال بعض المهلكين من قوم صالح وقوم لوط (عليهما السلام) وأجمل هنا في قوله تعالى: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ) [xlvii] الآيات ، وأيضاً بسط في الجملة هناك حال من جاء بالحسنة وحال من جاء بالسيئة وأوجز سبحانه هنا حيث قال تعالى : (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[xlviii] فلم يذكر عز وجل من حال الأولين أمنهم من الفزع ومن حال الآخرين كب وجوههم في النار إلى غير ذلك مما يظهر للمتأمل"[xlix].

ويقول الدكتور وهبة الزحيلي في التفسير المنير : "تظهر مناسبة سورة القصص لسورتي النمل والشعراء في أنها تفصيل لما أوجز فيهما من قصة موسى (عليه السلام)، إذ بدأ ببيان استعلاء فرعون

وظلمه، وذبحه أبناء بني إسرائيل الموجب لإلقاء موسى عند ولادته في اليم، خوفاً عليه من الذبح، ثم انتشال فرعون له وتربيته في قصره عنده إلى سن الشباب، حيث حدثت حادثة قتله القبطي، التي استوجبت فراره من مصر إلى مدين، وزواجه بابنة شعيب عليه السلام، ثم مناجاته ربه وبعثه إياه رسولاً، وما تبع ذلك، كما أن هناك ربطاً من وجه آخر بين سورتي النمل والقصص، فقد أوجز هنا ما فصّل في السورة المتقدمة من إهلاك قوم صالح وقوم لوط، ومن بيان مصير من جاء بالحسنة ومن جاء بالسيئة "[l] .

قال البقاعي: "لما ختم سورة النمل بالوعد المؤكد بأنه يظهر آياته فتعرف ، وأنه ليس بغافل عن شيء، تهديداً للظالم ، وتثبيتاً للعالم ، وكان من الأول ما يوحيه في هذه من الأساليب المعجزة من خفايا علوم أهل الكتاب، فلا يقدرون على رده، ومن الثاني ما صنع بفرعون وآله قال أول هذه: (طسم) مشيراً بالطاء المليحة بالطهر والطيب إلى خلاص بني إسرائيل بعد طول ابتلائهم المطهر لهم عظيم، وبالسين الرامزة إلى السمو والسنا والسيادة إلى أن ذلك يكون بمسموع من الوحي في ذي طوى من طور سيناء قديم ، وبالميم المهيئة للملك والنعمة إلى قضاء من الملك العلي بذلك كله تام عميم [li] .

ومن التناسب والترابط بين آيات سورة القصص والآيات التي قبلها قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولً)[lii] ظاهر هذه الآية الكريمة أن الله جلَّ وعلا لا يعذب أحداً من خلقه لا في الدنيا ولا في الآخرة حتى يبعث إليه رسولاً فينذر القوم ويحذرهم، فبسبب معصيتهم لذلك الرسول واستمرارهم على الكفر والمعصية بعد الإنذار والأعذار عندها يستحقوا العذاب، وقد أوضح جلَّ وعلا في آيات كثيرة هذا المعنى كقوله تعالى:﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[liii]، فصرح في هذه الآية الكريمة بأن لا بد أن يقطع حجة كل أحد بإرسال الرسل مبشرين من أطاعهم بالجنة ومنذرين من عصاهم النار وهذه الحجة التي أوضح هنا قطعها بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين بينها في آخر سورة طه بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِن قَبْلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾[liv] فناسب ذلك ما جاء في سورة القصص وأشار لها في سورة القصص بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾"[lv]][lvi] .

ومن تناسب وترابط سورة القصص مع ما قبلها من السور نجده في قوله تعالى: (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ)[lvii] مع قوله تعالى في سورة النمل : (إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ)[lviii] ، وقوله تعالى في سورة طه : (إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى)[lix] آنس النار أحسّها، ووجد من إحساسه بها أنساً، وهو في وحشة مطبقة من صمت الصحراء، وظلام الليل فلما رأى النار

استشعر الأنيس عندها، وأحسّ الأنس من جهتها، إذ لا توقد نار إلا وعندها من أوقدها، ليستدفئ بها، أو يهيئ لنفسه طعاماً عليها ..

وفي قول موسى لأهله: (سَآتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) ما يشير إلى أنّ موسى لم يكن على بيّنه من أمر هذه النار، وهل سيجد عندها أحدا أم لا.. فقد تكون بقية نار أشعلها قوم أول الليل ثم ارتحلوا عنها.. ولهذا فهو يتردد فيما سيجيئ به إلى أهله منها.. فهو إن لم يجد عندها أحدا، فلا أقلّ من أن يجيء بجذوة.. أي قطعة من النار.. لعلهم يصطلون بها، أي يستدفئون، والصور الثلاث التي صور بها هذا المشهد في سورة النمل وطه والقصص، هى صورة واحدة، وإن استقلّت كل صورة بملامحها ومشخّصاتهافعناصر هذا الحديث هى:

موسى، والنار، وأهله، وما قال لأهله، وما عوّل على الانس من النار ، أما موسى.. فإنه قد رأى ناراً.. وقد ذكرت هذه الرؤية في هذين الموضعين حكاية عن موسى ولم تذكر في الموضع الثالث، اكتفاء بالإشارة إليها فى الموضعين المذكورين..

فجاء في سورة طه: «إِذْ رَأى ناراً» .

وجاء في سورة القصص: «آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً» .

وهاتان الصورتان تمثلان الواقع أدق تمثيل، وأكمله.. فأول ما كان من موسى أنه رأى نارا.. مجرد رؤية.. ثم دخل عليه من هذه الرؤية أنس واطمئنان..

ثم كان بيان المكان الذي رأى فيه النار، وهو «جانب الطور» مما تتم به الصورة، التي سيكون لها شأن في نسيج الحدث كله..

وكان من تدبير موسى إذ رأى النار، أن ينطلق إليها وحده، وأن يدع أهله حيث هم، لأنه لا يدرى من يكون عند النار، وهل هم ركب مسافر، أم قطّاع طريق؟ .. إن من الحكمة أن يذهب وحده، ويتحسس الأمر، من غير أن يقحم أهله، ويدفع بهم إلى هذا المصير المجهول.. فينطلق وحده، بعد أن يعلن أهله بهذا..

ويصور القرآن الكريم، هذه الجزئية، من هذا المشهد في ثلاثة مواضع..

فى سورة النمل هكذا: «إِذْ قالَ مُوسى لِأَهْلِهِ.. إِنِّي آنَسْتُ ناراً» .

وفي سورة طه: «إِذْ رَأى ناراً فَقالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا.. إِنِّي آنَسْتُ ناراً»

وفي سورة القصص: «آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً.. قالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً» وهذه المقولات الثلاث هي من مقولات موسى (عليه السلام)، وليست من قبيل التكرار لقولة واحدة.. فهذا ما لا يكون في القرآن الكريم فهو إذ يرى النار، فى هذا المكان القفر، المظلم الموحش– تعروه حال من النشوة، وتأخذه الفرحة..

فيلقى إلى أهله بهذا الخبر المسعد.. إني آنست ناراً.. امكثوا.. إني آنست ناراً.. امكثوا.. إني آنست ناراً ، إنها فرحة من جاءه الخير على يأس.. أشبه بالطالب يدخل الامتحان، ويخرج منه، وهو على يأس من النجاح، ثم إذا به يرى نفسه في الناجحين، فينطلق بلا شعور، يحدث كلّ من يلقاه: نجحت! أنا نجحت.. أنا نجحت!! كأنه يريد أن يمسك بهذا النجاح أن يفلت منه، بعد أن ظفر به على يأس! وفي قوله لأهله: «امكثوا» «امكثوا» – هو تأكيد لهم بأن يظلوا مكانهم، وألا يتحولوا عنه، بحال.. يقول هذا، وهو منطلق إلى حيث رأى النار..

وفي تحرك موسى نحو هذه النار.. يلقى إلى أهله، الذين أمرهم بالانتظار، بما يريد من انطلاقه هذا.. إنه منطلق، وإنه لعائد إليهم..

في سورة النمل قال تعالى: «سَآتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ..»، وفي سورة طه قال تعالى: «لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ.. أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً..»، وفي سورة القصص قال تعالى: «لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ..»

إن هذه المقولات جميعها، هى مما ألقى به موسى إلى أهله.. مما كان يجرى فى خاطره، وهو يتجه نحو هذه النار..

وإذا أخذنا هذه المقولات بترتيبها هذا– الذي لم يقم على حساب عندنا، إذ لا سبيل إلى تحقيق هذا الترتيب– نقول إذا أخذناها بهذا الترتيب، وجدنا أن موسى (عليه السلام) كان أول أمره عند رؤية النار في حال من الدّهشة، والنشوة، لم يتبين معها الموقف على وجهه، فوقع في نفسه ما كان في شوق إليه، وهو العثور على من يؤنسه في هذا المكان الموحش، فلما رأى النار أمسك بهذا الأمل الذي طلع عليه منها، ورآه شيئاً محققاً، فقال لأهله على سبيل القطع..

«سَآتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ» .. ثم ماهى إلا لحظة حتى يطرقه الشعور المضادّ لهذا الأمل المحبوب أن يفلت من يده، فقال لأهله:

«لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ.. أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً» .. على سبيل الرجاء، لا القطع.. ثم هو لا يجيئهم بشهاب قبس، بل سيجيئهم بقبس ، لقد تضاءل هذا الشهاب الساطع من الأمل، فصار مجرد قبس.. ثم يعاوده الأمل مرة أخرى، ولكن بصورة تجمع بين الرجاء والقطع بهذا الرجاء: «لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ» هذا وبالنظر إلى أوضاع هذه المقولات الثلاث ، وإذا هي في كل حال، تصوير دقيق لمشاعر الإنسان، فى مثل هذا الموقف، الذي يحوطه القلق والاضطراب، وتغمره الوحشة، ويحتويه الظلام ، وهذا التصوير الدقيق لأحوال النفس، ومسارب الخاطر، لا يمكن أن يكون في صورة كلامية ، إلا في كلمات القرآن، ولا يمكن أن يحتمله نظم غير نظم القرآن ، ثم إنه– في القرآن لا يكون

على صورة مقبولة مع هذا التكرار، إلا إذا جاء موزعاً، كما هو واقع في هذه المعارض الثلاثة، وإلا تراكمت ألوان الصورة وتدافعت، وغطى بعضها وجه بعض [lx]" .

ومن التناسب والتناسق أيضاً قوله تعالى في سورة مريم: ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ﴾[lxi] ، وقوله في سورة طه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يا مُوسَى}[lxii] ، وقوله في سورة النمل: ﴿سَآتِيكُم مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾[lxiii] ، هو معنى قوله في سورة طه أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى أي من يدلني على الطريق فيخبرني عنها فآتيكم بخبره عنها وقال تعالى في سورة القصص: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُواْ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِىءِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِين﴾ [lxiv] ، فالنداء في هذه الآية هو المذكورة في سورة مريم وسورة وطه وسورة النمل وقد بيَّن هنا أنه نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة فدلت الآيات على أن الشجرة التي رأى فيها النار عن يمين الجبل الذي هو الطور وفي يمين الوادي المقدس الذي هو طوى على القول بأن طوى اسم له وقد قدمنا قول ابن جرير أن المراد يمين موسى[lxv]لأن الجبل ومثله الوادي لا يمين له ولا شمال وقال ابن كثير في قوله نُودِيَ مِن شَاطِىءِ الْوَادِ الأَيْمَنِ أي من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب كما قال تعالى وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَى مُوسَى الأَمْرَ فهذا مما يرشد إلى أن موسى قصد النار إلى جهة القبلة والجبل الغربي عن يمينه[lxvi]وهو معنى قوله تعالى : (وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ) وقوله : وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا والنداء المذكور في جميع الآيات المذكورة نداء الله له فهو كلام الله أسمعه نبيه موسى"[lxvii]"وكذلك النداء المذكور في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْم يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقا ﴾[lxviii] أي واذكر يوم يقول الله جل وعلا للمشركين الذين كانوا يشركون معه الآلهة والأنداد من الأصنام وغيرها من المعبودات من دون الله توبيخاً لهم وتقريعاً نادوا شركائي الذين زعمتم أنهم شركاء معي فالمفعولان محذوفان أي زعمتموهم شركاء لي كذباً وافتراء أي ادعوهم واستغيثوا بهم لينصروكم ويمنعوكم من عذابي فدعوهم فلم يستجيبوا لهم أي فاستغاثوا بهم فلم يغيثوهم وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من عدم استجابتهم لهم إذا دعوهم يوم القيامة جاء مناسباً و موضحاً في مواضع أخر كقوله تعالى في سورة القصص: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُواْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ * وَقِيلَ ادْعُواْ شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾[lxix]][lxx]

.

ومن التناسق والترابط أيضاً بين سورة القصص وما قبلها من سور القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[lxxi]، بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن له اختلاف الليل والنهار يعني أن ذلك هو الفاعل له وهو الذي يذهب بالليل ويأتي بالنهار ثم يذهب بالنهار ويأتي بالليل واختلاف الليل والنهار من أعظم آياته الدالة على كمال قدرته ومن أعظم مننه على خلقه كما بين الأمرين في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَآءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفلاَ تُبْصِرُونَ * وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[lxxii] ، وكذلك قوله تعالى في سورة يونس : ﴿إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾[lxxiii]، والآيات الدالة على اختلاف الليل والنهار من أعظم الآيات الدالة على عظمة الله واستحقاقه للعبادة وحده ومن خلال هذه الآيات العظيمة يظهر ترابط وتناسق القرآن الكريم"[lxxiv] .

["كما نجد أن هناك ترابطاً وتناسباً بين جعل الذين استضعفوا أئمة وجعلهم الوارثين وبين الصبر واليقين بالله عز وجل الأمر الذي كان سبباً لذلك قال تعالى في سورة القصص:﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[lxxv] ، فقوله تعالى : وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ هو الكلمة في قوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إسرائيل بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُون ﴾[lxxvi] .

ومن التناسب أيضاً أن الله تعالى يبعث الرسل وينزل الكتب تبصرة للناس فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿قَدْ جَآءَكُمْ بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَميىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾[lxxvii] ، فناسب ذلك ما جاء في سورة القصص عن كتاب موسى في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْد مَآ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون﴾" [lxxviii]][lxxix] .

وكذلك من التناسب أنه " لما تضمن قوله سبحانه: "إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ"[lxxx] إلى آخر السورة من التخويف والترهيب والإنذار والتهديد ما انجر معه الإشعار بأنه (صلى الله عليه وسلم) سيملك مكة ويفتحها تعالى عليه، ويذل عتاة قريش ومتمرديهم، ويعز أتباع رسوله عليه الصلاة والسلام ومن استضعفته قريش من المؤمنين، أتبع سبحانه ذلك بما قصه على نبيه من نظير ما أشار إليه في قصة بني إسرائيل وابتداء امتحانهم بفرعون واستيلائه عليهم وفتكه بهم إلى أن أعزهم الله وأظهرهم على عدوهم وأورثهم أرضهم وديارهم ، ولهذا أشار تعالى في كلا القصتين بقوله في الأولى:

"سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا"[lxxxi]، وبقوله في الثانية: "وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ"[lxxxii] .

ومن الترابط واتناسب بين سورة القصص والسور التي قبلها نجده في البشارة لدى أمهات الأنبياء والرسل؟ هل كانت تصدر إليهن الإشارات الإلهية بمستقبل الصغير المنتظر؟ نعم, كانت هذه الإشارات إلى بعضهن أبلغ في الدلالة وأجلى في الصراحة , بل كانت إعلاما وإخبار مكشوفا. فأخبر الله أم موسى عليه السلام وموسى في أيامه الأولى في سورة القصص : {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}[lxxxiii] وأعلم الصديقة مريم بمستقبل عيسى قبل أن تلقى إليها الكلمة قال تعالى في سورة آل عمران : {إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ}[lxxxiv] ولا شك أن وضع الصديقة الفريد كان أحوج إلى وضوح الإعلام من آمنة ومن أم موسى, إذ كانت تحتاج إلى أن تصدق نفسها في أمرها حتى تقوى على الصمود في وجه تكهنات الناس وتخرصاتهم ، ومن ثم حمل عيسى عليه السلام معه آيه خلقه ونبوته عندما نادى أمه من تحتها حين وضعته [مريم ٢٣: {فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً} [lxxxv] وفي مخاطبته المجتمع المستنكر المتهم وهو في المهد : {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً} [lxxxvi] ، كذلك بشرت الملائكة نبي الله زكريا بحيي (عليه السلام) , ومن قبل جاءت إبراهيم البشرى بإسحاق ويعقوب : {فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ} [lxxxvii] ، هذه الدلائل هنا صريحة ولإعلام أم موسى بها, ومريم وزكريا وإبراهيم وزوجه إعلاماً مكشوفاً , أسباب لا تخفى , ولم يكن سبب منها لآمنة ، فكان رؤياها النور الذي أضاء لها القصور من بصرى الشام رمزاً للمستقبل ولو أن الأمر يتطلب ما فوق الرمز لجاءها من الله بيان ، ولكنها أعطيت ما يكفيها لتتنبه لشأن وليدها ، ولم يعترض حياتها وحياة وليدها من الظروف النادرة أو الخطرة أو المغايرة للمألوف – كظرف إبراهيم وزكريا (عليهما السلام)– ما يقتضي الوحي، فكان الرمز هو القدر المناسب الكافي ليبعث في نفس آمنة التوقع والتفاؤل فقد رأت آمنة بنت وهب حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم إنه: "خرج منها نور أضاء لها قصور الشام" وحدثت آمنة وحيدها وأثيرها محمداً (صلى الله عليه وسلم) برؤياها قريرة متفائلة بمستقبل ولدها فلما أوحي إليه أدرك أنها إحدى أمارات النبوة فحدث بها[lxxxviii].

ومن الترابط والتناسب بين سورة القصص والسور التي قبلها نجده في جملة الآيات التي صدعت بتحدي الكافرين بالتنزيل الكريم ، وقد تحداهم الله في مواضع عديدة من القرآن الكريم فمن الأمثلة على ذلك قال تعالى في سورة القصص: {قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[lxxxix] ، وقال في سورة الأسراء: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ

كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً}[xc] ، وقال في سورة يونس: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[xci] ، وكل هذه الآيات مكية ثم تحداهم أيضاً في المدنية بقوله تعالى في سورة البقرة : {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [xcii] ، فعجزوا وهم فرسان الكلام، وأرباب البيان، وقد خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص به غيرهم من الأمم، جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل سبب, فيخطبون ويمدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون ، فيأتون بالسحر ومع هذا فلم يتصدى لمعارضة القرآن منهم أحد ، ولم ينهض– لمقدار سورة منه – ناهض من بلغائهم، ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط والمضارة وقد جرد لهم النبي (صلى الله عليه وسلم) الحجة أولاً، والسيف آخراً, فلم يعارضوا إلا السيَف وحده، وما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أنهم أعجز من المعارضة وبذلك يظهر أن قوله تعالى: {وَلَنْ تَفْعَلُوا} معجزة أخرى، فإنهم ما فعلوا, وما قدروا ، فناسب التحدي الذي جاء في سورة القصص التحدي الذي جاء في سورة الإسراء ويونس والبقرة وإذا عجز عرب ذلك العصر فما سواهم أعجز في هذا الأمر فدل على أن القرآن ليس من كلام البشر، بل هو كلام الحي القيوم ، أنزله تصديقاً لرسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم)[xciii] .

المطلب الثاني

((تناسب وترابط آيات سورة القصص مع ما بعدها من سور القرآن الكريم))

تظهر صلة سورة القصص بما بعدها " في بيان أمثلة واقعية من الصراع بين الحق والباطل، وبين الضعف والقهر، وبين أثر الصمود والصبر على الإيمان وأثر الانسلاخ منه، ففي سورة القصص ذكر الله تعالى استعلاء فرعون وجبروته، وتفريقه الناس شيعاً، واستضعافه بني إسرائيل بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم ، ونجاة موسى عليه السلام مع قومه ، ونصره على الطغاة وإغراقهم ، كما ذكر الله قصة قارون الباغي وعقابه بالخسف ، فناسب ذلك ما جاء في سورة العنكبوت حيث ذكر الله قصة المسلمين في مكة الذين فتنهم المشركون عن دينهم، وعذبوهم على الإيمان بنحو أقل من تعذيب فرعون بني إسرائيل، حثاً لهم على قوة التحمل والصبر، وتسلية لهم بما وقع لمن قبلهم، ثم ذكر نجاة نوح (عليه السلام) في سفينته مع جند الإيمان، وإغراق قومه الذين كذبوه ، كما أن بين السورتين تشابها في الإشارة إلى موضوع الهجرة ففي خاتمة القصص الإشارة إلى هجرة النبي صلّى الله عليه وسلم قال تعالى : (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ)[xciv] ، وفي خاتمة سورة العنكبوت الإشارة إلى هجرة المؤمنين: (يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)[xcv] .

وكذلك يوجد ارتباط بين السورتين في تحديد الغاية والغرض، ففي سورة القصص بيان العاقبة المحمودة للمتقين المتواضعين: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَساداً، وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)[xcvi] وفي سورة العنكبوت تقرير العاقبة الحسنة للمؤمنين الذين يعملون الصالحات: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ، خالِدِينَ فِيها، نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ)[xcvii] .

ثم إنه تعالى لما قال في آخرسورة القصص: (كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)[xcviii] وأعقبه بما يبطل قول منكري الحشر: (لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[xcix] رد في مطلع هذه السورة على منكري الحشر القائلين: لا فائدة في التكاليف إذ لا مرجع بعد الهلاك والزوال ، ومضمون الرد أن للتكليف فائدة وهي أن يثيب الله الشكور ويعذب الكفور"[c] .

وكذلك من التناسب ما بين سورة القصص وسورة العنكبوت أنه تعالى لما ختم سورة القصص بالحث على العمل للدار الآخرة ، وأن كل واحد من محسن أومسيء مجزى بعمله ، وبالإخبار بأنه سبحانه عالم بالسر والعلن ، بالأمر بالاجتهاد في الدعاء إليه وقصر الهمم عليه ، وذهاب النفس والأموال ، معللاً بأن له الحكم سبحانه لأنه الباقي بلا زوال ، وكل ما عداه فإلى تلاش واضمحلال ، وأنه لا يفوته شيء في حال ولا مآل ، قال أول سورة العنكبوت: ﴿آلم﴾[ci]، إشارة بالألف الدال على القائم الأعلى المحيط ولام الوصلة وميم التمام بطريق الرمز إلى انه سبحانه أرسل جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام ليدعو الناس بالقرآن الذي فرض عليه إلى الله ، لتعرف بالدعوة سرائرهم ويتميز بالتكليف محقهم ومماكرهم ولما عبر بهذه الإشارة لأهل الفطنة والبصائر ، قال منكراً على من ظن أن مدعي الإيمان لا يكلف البيان ، ومفصلاً لما ختمت به تلك من جميع هذه المعاني ، بانياً على ما أشارت إليه الأحرف لأولي العرفان: ﴿أحسب الناس﴾[cii]، أي كافة ، فإن كلاً منهم يدعي أنه مؤمن لمعنى أنه يقول: إنه على الحق ولعله عبر بالحسبان إشارة على أن فاعل ذلك مضطرب العقل منحرف المزاج[ciii] .

"وأن وجه اتصال سورة القصص بما بعدها أنه تعالى لما أخبر في أول سورة القصص عن فرعون قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[civ] ، افتتح سورة العنكبوت بذكر المؤمنين الذين فتنهم الكفار وعذبوهم على الإيمان بعذاب دون ما عذب به قوم فرعون بني إسرائيل تسلية لهم بما وقع لمن قبلهم وحثهم على الصبر ولذلك قال سبحانه هنا: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[cv]، وهذه أيضاً من حكم تأخير القصص على طس وأيضا فلما كان في خاتمة القصص الإشارة إلى هجرة

النبي (صلى الله عليه وسلم) وفي خاتمة هذه الإشارة إلى هجرة المؤمنين بقوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [cvi] ، وبذلك ناسب تتاليهما"[cvii] .

"ومن التناسب والترابط أيضاً ما بين آيات سورة القصص وآيات السور التي بعدها قوله تعالى في سورة الصافات : ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ [cviii]، فكانوا غاوين أغووا أتباعهم لأن متبع الغاوي في غيّه لا بدّ أن يكون غاوياً مثله ذكره تعالى في غير هذا الموضع كقوله تعالى في سورة القصص: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾[cix] والإغواء الإضلال فناسب ذلك ما جاء في السورتين [cx] .

كما أن هناك ترابطاً وتناسباً في قوله تعالى في سورة الجاثية : ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[cxi]، الإشارة في قوله (هذا) للقرآن العظيم والبصائر جمع بصيرة والمراد بها البرهان القاطع الذي لا يترك في الحق لبساً وما تضمنته آية الجاثية من أن القرآن بصائر وهدى ورحمة ذكر تعالى مثله في سورة القصص عن كتاب موسى الذي هو التوراة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون﴾ [cxii] ، ومن خلال ما تقدم نجد أن هناك ترابطاً وتناسباً بين سورة القصص والسور التي قبلها والسور التي بعدها الأمر الذي يجعل القرآن الكريم وحدة واحدة كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني ، فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي أيد الله عز وجل بها رسوله عليه الصلاة والسلام ، ولقد تميز القرآن المجيد بهذا النظم الفريد ،وهذا السبك النضيد ، وهذا التصريف العجيب ، وهذا الثراء في الأساليب ، والانتقال من موضوع إلى موضوع ومن حكمة إلى حكمة ومن قصة إلى قصة ومن مثل إلى مثل ، دون أن يؤدي ذلك إلى اضطراب أو خلل ، أو فتور أو ملل ، أو تناقض أو اختلاف ، بل تناسق وائتلاف ، مراعاة لطبيعة النفوس وتيسيراً على القراء وتبصرة وتذكرة لأولي الألباب ، هذا مع نزوله منجماً – حسب الحوادث والنوازل – على غير ما هو معهود في الكتب السابقة التي نزلت جملة واحدة ، فجمع بذلك بين سمات عديدة ليست موجودة في الكتب السابقة : نزوله جملة حسب الحكمة ، ونزوله متفرقاً حسب الأحداث وما يقتضيه التشريع من تدرج في الأحكام ، فضلاً عن هذا الترتيب البديع ، مائدة عامرة ، وحدائق ناضرة ، مزهرة مثمرة ، تسر الأعين الناظرة ، قد تشابكت أغصانها وتعانقت أزهارها وتآلفت أطيارها وأينعت ثمارها ، وامتزجت جداولها وانتظمت دررها واتسقت جواهرها في عقد فريد وسلك نضيد[cxiii] .

الخاتمة : تتضمن جملة من النتائج والتوصيات التي تم التوصل لها:

أولاً : النتائج

١. امتازت سورة القصص بالترابط والتناسق بين آياتها بل وتناسبت في مقاطعها بين أولها وآخرها وفي ترابط وتناسب مع ما قبلها وما بعدها من سور القرآن الكريم حيث أن سورة القصص فيها بيان لبلاغة القرآن الكريم في أعلى مراتبها ، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة ، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتميز عن الآخر ، وتصاغ في قالب غير القالب الآخر ولا يمل الإنسان من تكرارها بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.

٢. بعد الاطلاع على النصوص القرآنية والمصادر التي وقف عليها البحث وأقوال العلماء ، يتضح أن علم المناسبة بين السور والآيات القرآنية علمٌ عظيم يبحث في المعاني الرابطة بين السور القرآنية ، وبين الآيات بعضها ببعض .

٣. إن معرفة المناسبة بين السور والآيات تساعد على حسن التأويل ودقة الفهم ومعرفة المراد من الآية القرآنية .

٤. إن لعلم المناسبات أهمية كبيرة في إبراز اللطائف القرآنية والإعجاز في الآيات القرآنية حيث أن ذكر المناسبة بين الآيات والسور يبرز الوحدة المعنوية بينها ، ويرسخ الاعتقاد بإعجاز القرآن الكريم، لما يحتويه هذا العلم من لطائف القرآن وأسراره .

المصادر والمراجع

[i] ينظر: دراسات في علوم القرآن ، محمد بكر إسماعيل (ت: ١٤٢٦هـ) ، دار المنار الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م : ٣٢٥/١ .

[ii] ينظر المناسبات بين الآيات والسور فوائدها ، وأنواعها ، وموقف العلماء منها ، سامي عطا حسن ، ٢.

[iii]البرهان في تناسب سور القرآن ، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ) ، تحقيق سعيد بن جمعة الفلاح ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ : ١١.

[iv] سورة الزمر : الآية (١٨) .

[v] مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل بن محمد أبو العلاء ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد١٢٩ ، ١٤٢٥هـ: ١٣/١.

[vi] مفاتيح الغيب ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م : ١١٣/١٠.

[vii] ينظر: البرهان في علوم القرآن ،أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي(ت:٧٩٤هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م: ٣٥/١-٣٦ .

[viii] ينظر: مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور. : ٨/٢٠ .

[ix] ينظر: لسان العرب ، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور (ت: ٧١١هـ) ، دار صادر، بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م : ٧٥٦/١ .

[x] البرهان في علوم القرآن : ٣٥/١

[xi] مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور: ١/ ١٧.

[xii]المصدر نفسه : ١/ ١٧ .

[xiii] مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م : ١٤٢/١.

[xiv] معترك الأقران في إعجاز القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م : ٤٤/١ .

([xv]) مباحث في التفسير الموضوعي ، مصطفى مسلم ، دار القلم ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م : ٨٥/١ .

([xvi]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار الصابوني ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م : ٣١٢/٢.

([xvii]) لباب التأويل في معاني التنزيل ، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي ، (ت:٧٤١هـ) ،تحقيق محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤١٥هـ-١٩٩٤م: ١٦١/٥ .

([xviii]) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت:٨١٧هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م :٣٥٣/١ .

([xix]) سورة القصص : آية (٨٥).

([xx]) السورة نفسها : الآيات (٥٢-٥٥) .

([xxi]) الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) ، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م : ٢٤٧/١٣.

([xxii]) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ .: ٢٦٧٤/٥.

([xxiii]) المصدر نفسه :٤٠٥/٥.

([xxiv]) سورة القصص : آية (٣٨).

([xxv]) السورة نفسها : الآية (٤) .

([xxvi]) سورة القصص : الآية (٧٦) .

([xxvii]) ينظر: صفوة التفاسير: ٨١٤/٢.

([xxviii]) سورة القصص: آية١٧.

([xxix]) السورة نفسها: الآية (٨٥) .

([xxx]) ينظر: مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة والعشرون ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م : ٩٩/١.

([xxxi]) سورة القصص: الآية (٨٧) .

([xxxii]) السورة نفسها : الآية (٨٦) .

([xxxiii]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) ، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،(د.ط) ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م : ٥/٥٣٢.

([xxxiv]) سورة القصص :الآيات (٧١ – ٧٣) .

([xxxv]) السورة نفسها : آية (٧٠) .

([xxxvi]) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٢/١٣.

([xxxvii]) ينظر: إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت : ١٤٠٣هـ) ، دار الإرشاد للشئون الجامعية ، حمص ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م : ٧/ ٣٦٩ .

([xxxviii]) ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) ، تحقيق صدقي محمد جميل ، دار الفكر، بيروت ، (د.ط)١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م : ٧/١٢٥.

([xxxix]) سورة القصص :الآيات (٧٦–٨٢) .

([xl]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥/ ٥١٨ .

([xli]) عاقبة الطغيان والفساد ، عبد الحميد طهماز, دار القلم ، دمشق(د.ط) ، (د.ت) : ٦٤.

([xlii]) سورة النمل : الآية (٩٣) .

([xliii]) سورة القصص: الآية (٢) .

([xliv]) البحر المحيط :٧/٩٨.

([xlv]) سورة الشعراء: الآيات (١٨–٢١) .

([xlvi]) سورة النمل : الآية (٧) .

([xlvii]) سورة القصص: الآية (٥٨) .

([xlviii]) سورة القصص: الآية (٨٤) .

([xlix]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت:١٢٧٠هـ) ،تحقيق علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م : ٢٠/٤١.

([l])التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م : ٢٠/٥١-٥٢.

([li]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥/٤٦٠.

([lii]) سورة الإسراء: الآية (١٥) .

([liii]) سورة النساء: الآية (١٦٥) .

([liv]) سورة طه: الآية (١٣٤) .

([lv]) سورة القصص: الآية (٤٧) .

([lvi]) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت : ١٣٩٣هـ) ، دار الفكر، بيروت ، لبنان ، (د.ط) ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م : ٣/٦٥ .

([lvii]) سورة القصص : الآية (٢٩).

([lviii]) سورة النمل : الآية (٧) .

([lix]) سورة طه: الآية (١٠) .

([lx]) التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: ١٣٩٠هـ) ، دار الفكر العربي القاهرة (د.ط) ، (د.ت) : ١٠/٢١١-٢١٤.

([lxi]) سورة مريم : الآية (٥٢) .

([lxii]) سورة طه: الآية (١١) .

([lxiii]) سورة النمل: الآية (٧) .

([lxiv]) سورة القصص: الآيات ٢٩.٣٠.

([lxv]) جامع البيان في تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م : ١٨/٢١٠.

([lxvi]) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) ، تحقيق سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م: ٦/٢٣٤.

([lxvii]) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٣/٤٣٢.

([lxviii]) سورة الكهف: الآية (٥٢) .

([lxix]) سورة القصص: الآيات (٦٢-٦٤) .

([lxx]) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ٢٩٥/٣ .

([lxxi]) سورة المؤمنون: الآية (٨٠) ز

([lxxii]) سورة القصص: الآيات (٧١-٧٣) .

([lxxiii]) سورة يونس: الآية (٦) .

([lxxiv]) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٣٤٧/٥.

([lxxv]) سورة القصص: الآية (٥) .

([lxxvi]) سورة الأعراف: الآية (١٣٧) .

([lxxvii]) سورة الأنعام: الآية (١٠٤) .

([lxxviii]) سورة القصص: الآية (٤٣) .

([lxxix]) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٢٠١/٧-٢٠٢ .

([lxxx]) سورة النمل : الآية (٩١) .

([lxxxi]) سورة النمل : الآية (٩٣) .

([lxxxii]) سورة القصص : آية (٦) .

([lxxxiii]) السورة نفسها : الآية (٤) .

([lxxxiv]) سورة آل عمران : الآية (٤٥) .

([lxxxv]) سورة مريم : الآية (٢٣) .

([lxxxvi]) السورة نفسها : الآية (٣١) .

([lxxxvii]) سورة آل عمران : الآية (٣٩) .

([lxxxviii]) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية : العدد السابع ، النبوة اصطفاء وقدوة :٤٠٧/٣ .

([lxxxix]) سورة القصص : الآية (٤٩) .

([xc]) سورة الإسراء : الآية (٨٨) .

([xci]) سورة يونس : الآية (٣٨) .

([xcii]) سورة البقرة : الآية (٢٣) .

([xciii]) ينظر مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية : العدد ٦٢ القرآن يتحدى : ٢٩٥/٣٠.

([xciv]) سورة القصص : الآية (٨٥) .

([xcv]) سورة العنكبوت : الآية (٥٦) .

([xcvi]) سورة القصص : آية (٨٣) .

([xcvii]) سورة العنكبوت : الآية (٥٨) .

([xcviii]) سورة القصص : الآية (٨٨) .

([xcix]) السورة نفسها : الآية (٨٨).

([c]) ينظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : ٢٠/١٨١-١٨٢ .

([ci]) سورة العنكبوت: الآية (١).

([cii]) السورة نفسها : الآية (٢).

([ciii]) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٥/٥٣٣.

([civ]) سورة القصص: الآية (٤).

([cv]) سورة العنكبوت: الآية (٣).

([cvi]) السورة نفسها : الآية (٥٦) .

([cvii]) أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام ، القاهرة: ١/١٢٣.

([cviii]) سورة الصافات: الآيات (٣١-٣٢) .

([cix]) سورة القصص: الآية (٦٣).

([cx]) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٦/٣١١ .

([cxi]) سورة الجاثية: الآية (٢٠) .

([cxii]) سورة القصص : الآية (٤٣) .

([cxiii]) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٧/٢٠١-٢٠٢.